

ISSN: 1119 – 7749

Vol. 6 No 3., September, 2003

نقائس

5

Journal of The Nigeria Association of Teachers of Arabic and Islamic Studies

Address: Department of Islamic Studies,
Bayero University,
P.M.B. 3011,
Kano, Nigeria.

NOTES ON CONTRIBUTORS

1. Dr. Musa A. Abdu-Raheem Senior Lecturer (Islamic Studies) Department of Religious Studies, University of Ado-Ekiti.
2. Mal. Luqman L. Adedeji Lecturer, Department of Curriculum Studies, Faculty of Education, University of Lagos.
3. Mal. Abdus-Sami'i . Arikewuyo: Senior Principal Lecturer, (Islamic Studies) Kwara State College of Arabic and Islamic Legal Studies, Ilorin.
4. Dr. Muritada Gbade Haroon Lecturer, (Islamic Studies) Department of Religions, Lagos State University, Ojoo, Lagos.
5. Malama Sherifat H. Abubakar Lecturer, (Islamic Studies) Kwara State College of Arabic and Islamic Legal Studies, Ilorin
6. Mal. Rafiu A. Ibrahim Lecturer, (Islamic Studies) Department of Religious Studies, Osun State College of Education, Illa-Orangun, Osun.
7. Abdur-Razzaq M.B. Solagberu Lecturer, (Islamic Studies) Kwara State College of Arabic and Islamic Legal Studies, Ilorin
8. Dr. Hamza I. AbdurRaheem: Chief Lecturer, (Arabic Language) and Deputy Provost (Admin) Kwara State College of Education, Ilorin.
9. Mal, Ali M. Jamiu: Lecturer, (Arabic Language) A.D. Rufai College for Legal and Islamic Studies, Misau Bauchi.
10. Professor Z.I. Oseni Professor, (Arabic Literature) Department of Religions University of Ilorin.
11. Dr. Sarki Ibrahim: Senior Lecturer, (Arabic Language) Department of Arabic, Bayero University, Kano.
12. Mal. Abdullateef O. Ibrahim: Lecturer, (Arabic Literature) Department of Arabic, College of Arabic and Islamic Legal Studies, Ilorin.

النثر العربي في نيجيريا نشأته وتطوره

بقلم

عبد اللطيف أونيري تي إبراهيم

مقدمة:

لقد مر الأدب العربي بمختلف الأطوار في نشأته وتطوره وبمختلف الأحوال من الازدهار والتدهور في نيجيريا قبل إلحاقه بركب النهضة الحديثة في العالم العربي أخيراً. وقد بذل بعض علمائنا، أمثال الشيخ آدم عبد الله الإلوري، والدكتور علي أبو بكر، والدكتور أحمد شيخو غلادنت، مجهودات جبارة مشكورة في تسجيل هذه الأحوال من بدايتها إلى ستينات من القرن العشرين، ولكن قد هيأت عوامل جديدة أخرى بعدئذ فرصة مزيد التطور للأدب العربي في نيجيريا الذي كان -ولا يزال بأمرس الحاجة إلى الدراسة والتسجيل. هذا وما أن هذا البحث قصير نطاقه من أن يستوعب دراسة الأدب العربي بأجمعه في نيجيريا ركزنا على النثر، الذي كان قسماً من قسميه (الشعر والنثر) بالدراسة في هذا الصدد، لسد الفراغ.

ولتحقيق ذلك أعدنا النظر في نشأة النثر وتطوره عبر العصور التي مر بها الأدب العربي في نيجيريا، وربطنا ماضيه بالحاضر وجعلناهما أساساً للتطلع على مستقبل النثر العربي في نيجيريا وبالتالي مستقبل الأدب العربي فيها.

تعريف النثر عند العرب:

النثر: هو ضد الشعر من الكلام فهو فن من فنون الأدب يقصد به إلى التأثير في نفوس السامعين وعقولهم معتمداً على العقل والمنطق والمعاني. فهو أسبق أنواع الكلام وجوداً وأقربهم تناولاً لضرورة استعماله وعدم تقيده بوزن ولا قافية وقد يكون مسجماً إن

التزم في كل فقرتين وأكثر قافية، أو مرسلا إن كان غير ذلك. وللنثر عند العرب أنوع ثلاثة: النثر العادي والنثر الفني والنثر العلمي^(١).

فالنثر العربي في نيجيريا مرّ بفترات مختلفة وبأحوال متبوعة، تطور حيناً وانخفض حيناً آخر كما انخفض أخيراً. ولتتمكن دراسة النثر بهذه الأحوال نظراً في أحواله عبر العصور التي مر عليها الأدب العربي في نيجيريا. هذا وقد أسهم الشيخ آدم عبد الله الإلوري وشيخو أحمد غلادنت في كتابتهما في تقسيم هذه العصور على أساليب في الأسلوب. بينما جعل الشيخ آدم الإلوري الأحداث السياسية والدينية معيار تقسيمه له، بنى غلادنت على القرون أي نظر في حالة الأدب العربي في نيجيريا قرناً بعد قرن. وجاء بعدهما البروفيسور زكريا حسين بأسلوب آخر يعنى بأحوال الأدب في تسميته لها^(٢) فعلى تقسيم الإلوري بنى دراستنا للكتابة العربية في هذه البلاد لتقاربه من أسلوب تلاميذ العصور الأدبية عند العرب.

النثر في العصر البرناوي:

نسب هذا العصر إلى مدينة برنو إحدى مدن البرابرة القديمة بغرب أفريقيا. والبرابرة هم حملة الثقافة الأولى من شمال أفريقيا إلى غربها وحملة الثقافة من الديار المصرية إلى ما وراء الصحراء حتى المحيط الأطلسي. فعلى أيديهم قامت الدولة الإسلامية الأولى في القرن الخامس الهجري بالجزء الشمالي الشرقي حتى شملت بلاد كنو وكتسنه وغيرهما مما يعرف اليوم بنيجيريا. بدأ العصر من القرن الخامس إلى السابع الهجري^(٣).

ضعف الأدب في هذا العصر والسبب في ذلك - كما قال الشيخ آدم الإلوري - كونه دور الدعوة إلى الدين الجديد ودور التأسيس والتوطيد للثقافة الجديدة. ولم يرتق النثر إلى درجة الإنتاج الأدبي في العصر بل كان نثراً عادياً، يستعمل للتخاطب بين التجار ثم العلماء ويتناول الرسائل الإخوانية، كما يستخدم لكتابة الوثائق الرسمية بين رجال الحكومة. وخير مثال لكتابة هذا العصر رسالة ملك برنو إلى السلطان الظاهر البرقوق في القاهرة حوالي سنة ٧٩٤هـ نذكر منها ما يلي:

بسم الله الذي جعل الخط تراسلا بين الأبعد وترجمانا بين
الأقارب ومصافحة بين الأحباب ومؤنسا بين العلماء وموحشا
بين الجهال، ولولا ذلك لبطلت الكلمات وفسدت الحاجات،
وصلوات الله على نبينا المصطفى ورسولنا المرتضى الذي أغلق
الله به باب النبوة وختم وجعله آخر المرسلين بشيرا ونذيرا
وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ما ناحت الورق وما عاقب
الشروق الأسيل، ثم بعد ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي
رضي الله عنهم أجمعين من المتوكل على الله الملك الأجل
سيف الإسلام وربيع الأيتام الملك المقدم القائم بأمر الرحم
المستعصر بالله المنصور في كل حين وأوان، ودهر وزمان الملك
العاذل الزاهد التقي الأنز الأجد الغشمشم فخر الدين
زين الإسلام قطب الجلالة سلالة الكرماء كهف الصدور
وصباح الأضلال أي عمر وعثمان الملك ابن إدريس الحاج أمير
المؤمنين المرحوم كرم الله ضريحه وأدام ذرية هذا بملكه، إلى
ملك مصر الجليل أرض الله المباركة الدنيا سلام عليكم...^(٥)

فالإطناب وكثرة استعمال المرادفات في القطعة يرينا أن الكتابة العربية في العصر تقليدية.

النثر في عصر الونصريين:

نسب هذا العصر إلى القبائل التي كانت مزيجية من البرابرة والعرب الغدامسيين،
وهم اللذين تعلموا العلم من علماء المغرب وقاموا بنشر الإسلام والعلوم العربية وآدابها في
عواصم غانه ومالي وسنغى وكانوا وكتسنه وكبي وتمبكتو. وبدأ العصر من القرن السابع
إلى التاسع الهجري.

إضافة إلى التخاطب وكتابة الرسائل الإخوانية والوثائق الرسمية بدأت في هذا العصر كتابة الشرح والخواشي بمحاكاة الكتب الدينية التي حصلت عليه أيدي علماء العصر بواسطة الرحال والزوار والحجاج ثم ارتقى النشر إلى استخدامه لتأليف الكتيب على غرار " بدائع الآثار " للشيخ الركن محمد بن واد الونغري جمعه من كتب الدين والأدب والأخلاق ويشبه الكتاب كتاب فنج البلاغة للإمام علي كرم الله وجهه، يقول فيه الشيخ الركن ما يلي :

الجاهل يعمل بنفسه ما لا يعمل العدو بعداوته، عجبت لمن
يحصن دار الغرور بخذر المطر، ولا يحصن الرمس بخذر الحيات
والعقارب والديدان. نعمة الدنيا كسرور الأعلام آخر عزها
حقر وحزن قد خاب من أخذهما بصدق^(٥)

وكذلك ظهرت عدة مؤلفات في هذا العصر في الفقه والنحو والصرف والتاريخ إلا أن أكثرها ضاع. ومن المخطوطات المعثور عليها المخطوطة المسماة "ورقة مكتوبة فيها أصل الونغراوين" يقول فيها صاحبها المجهول :

ثم إن الشيخ عفا الله عنه ذهب بصره بكثرة رمده، وصار يقرأه
الناس العلم من كل فن. روى أنه كان في عماء يقرئ الناس
وقدم رجل من مصر مع تلاميذه يقرئ الناس "الخليل" قبل أن
يراه الناس بعينه إلا سماع ذكره، وشاع في الناس أن رجلا
مشرقيا جاء بكتاب يقال له "الخليل" قد أعجب الناس فرعيته
ومشهور كلامه حتى قال الشيخ غدا إن شاء الله أركب إلى هذا
الرجل ونسمع قراءة الكتاب. فابتدر الناس تلك الليلة إلى
ذلك الشيخ فأعلموه أن عالم تلك قادم عليك غدا فشمر علي
ساعديك، فأوقد السراج وبات ساهرا مطالعا لمكان قراءة كل

من علم يقرأه إلى الصبح فلما صلى الصبح أخذ يتطلع إلى أن
يخضر الطلبة فجعل يقرأهم إلى أن جاء الشيخ زغبتي وقام وأخذ
بركابه حتى نزل (٦)

فالركاكة الموجودة في هذه المخطوطة ، كما لاحظ غلادنت ، مثل استعمال "على" بدلا
من "عن" واستعمال الثلاثي مكان المزيد فيقوله "نقرأه" بدلا من يقرئه" للدلالة واضحة على
أن العربية، في هذا العصر، لا تزال في عنفوان شبابها وأن الأسلوب السائد في الكتابة هو
الأسلوب الفقهي الركيك.

ومن علماء هذا العصر الشيخ زربتي رئيس الونغيرين في كنو.

النثر في عصر المغيلي

كان العصر منسوباً إلى الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني نزيل مدينة كانو
وكاتسنة، له أثر بالغ في الحكم والسياسة والعلم، والأدب، وهو العربي الوحيد - كما قال
الشيخ آدم الألوري - الذي قام بعملية التدريس في هذه المنطقة من الأرض في هذا
العصر. تخرج علي يديه عدد كثير من علماء البلديتين المذكورتين أعلاه، ووضع لسلطين
كنو وكاتسنة وأكديس ونكده وصايا سياسية بناء على القواعد الشرعية يستعملونها في إدارة
نظام بلادهم . ومنها وصية سماها "مجموعة المغيلي في شئون الإمارة" كتبها لأمير كنو،
ووصية أخرى أسماها "فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام". وللسيوطي مثل هذه
الوصايا كتبها إلى أمراء بلاد التكرور عموماً وإلى سلطان كاتسنة خصوصاً، ومن أرادها
فليطالع كتاب: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي للشيخ آدم عبد الله الألوري
الطبعة الثانية ص ٨٥. فهذا المثال لمكتوبات العرب في هذه البلاد في ذلك العصر. أما كتابة
أبناء البلاد فلم يرتق على ما هو عليه في عصر الونغيريين من كتابة الشروح وتأليف
الكتب الدينية والقواعدية. فالجديد الملحوظ فيه هو الفتاوى والأسئلة التي كتبها أهل البلاد
يستفتون بها المغيلي، ومن أمثلة ذلك ما يلي :-

النثر في العصر الفلاني

نسب هذا العصر إلى قبائل نزحت من العرب كان جدهم عقبة بن النافع صحابيا جليلا فتح شمال أفريقيا في عهد عمر بن الخطاب وفتح غربها في عهد يزيد بن معاوية. تزوج جارية اسمها بج منع من قبائل الروم التي أسلمت على يده فولدت له أولادا نشؤوا في بلاد أمهم وتكلموا بلغة أبيهم. اشتهرت هذه القبائل بنشر الدعوة الإسلامية ورعاية الغنم، استوطن بعضهم شمال نيجيريا وأسسوا دولة إسلامية ذات الآثار الجلييلة في العلم والعرفان بقيادة الشيخ عثمان بن فودي ثم أخوه عبد الله بن فودي وابنه محمد بلو. بدأ العصر من القرن الحادي عشر الهجري إلى بداية الاستعمار^(٨).

يعد هذا العصر عصر النهضة الأدبية في هذه البلاد، ويوافق عصرا يقال له "عصر الانحطاط" عند العرب. ومن الأسباب التي هيأت لهذه النهضة كون العربية لغة رسمية للدولة ولغة الثقافة، وتشجيع الدولة التعليم وإنشاء مدارس عربية عديدة وكان التدريس فيها مجانا، والدراسة فيها على حسب منهج الأزهر القديم^(٩). فأدى هذا إلى كثرة العلماء والأدباء في العصر كما كثرت فيه الإنتاجات الأدبية نظما ونثرا.

يتناول النثر في هذا العصر التأليف في شتى الفنون مما نتج إلى وجود النثر التعليمي فيه. وكذلك تناول كتابة النثر الديواني، وهو عبارة عن الرسائل والمنشورات والتقارير الحكومية والمذكرات والتوقيعات الرسمية كما تستخدم لتسجيل القضايا والشكاوى في المحاكم الشرعية ولتسجيل انتصاراتهم الحربية وتاريخ قبائلهم وتاريخ غرب أفريقيا.

يتناول النثر كذلك في العصر، الخطابة التي تلقى في أيام الأعياد والجمع وفي المناسبات الدينية الأخرى، وكانت هذه الخطب مأثورة من السلف الصالح يرددونها حيناً بعد حين يفهما القليل من الحاضرين وكذلك يفتح الوعاظ مجالس وعظهم في المقدمة باللغة العربية^(١٠).

يمتاز النثر في هذه الآونة بسهولة ألفاظه وبساطة معناه وكثرة الاستشهاد والاقتباس من القرآن والحديث وكتب العلماء أمثال: أحمد بابا التمكيتي والمغيلي والسيوطي كما يمتاز بتحليل مسائل تاريخية بطريقة فقهية واستعمال تعابير متداولة في كتب الفقه. كما كثر في مؤلفاتهم التكلف بالزخارف اللفظية خصوصا في تسمية أسماء كتبهم اقتداء بعلماء العرب في العصور المتتابعة لأن أكثر ما وصل إليهم من الكتب كانت في هذه العصور، والعصر الجاهلي. وأمثلة ذلك في أسماء الكتب، كتاب الشيخ عثمان بعنوان تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان، وكتاب رعاية الغنم الديمومية في مراتع الألفاظ الأجمدة للشيخ عمر محمد أحمد غوري، وإنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكمه، لمحمد بلو..

ومن أمثلة الكتابة في هذا العصر قول محمد بلو في إنفاق الميسور:-

أخبرني والدي أنه حصل له الجذب الإلهي ببركة الصلاة على النبي (ص)، إذا كان يواظب عليها من غير ملل، ولا كلل ولا فترة، أمدده الله بفيض الأنوار بواسطة الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، وحده الرسول (ص)، فشهد من عجائب الملكوت، وحصل على غرائب الجبروت، وشاهد أفعال الأسماء والصفات والذات، ووقف على اللوح المحفوظ، وفك رموزه الملحوظ وكساه الحق تعالى حلة الدعوة إليه وتوجه تاج الهداية والإرشاد إليه^(١).

أما النثر الديواني، فكانت أغلب الرسائل قصيرة في شكلها، وقد يكون أقصر على شكل ما نعرف اليوم بالبرقيات اللاسلكية، ولا تخلو أكثرها من الركافة والتقليد بالقدماء والعرب السلف، ومن أمثلة ذلك رسالة أمير راب محمد إلى أمير المؤمنين عمر قال بعد البسملة والصلصلة:

تحية وسلام ورضي وإكراما، بعد إعلام أن رجل الذي يهرب
بسبب لوث ترك ستين ضانا وثلاث وستين قنا وعبدین
ولذلك أرسلت إليك لقد جمعت أولياء المقتول حتى نتظر
جوابك، والسلام^(١٦).

فكلمتا "وسلام ورضي" يجب أن تكونا منصوبتين على العطفية ولكن الكاتب
جعلهما مرفوعتين خطأ منه كما جاء الموصول وصلته بعد لفظ نكرة في "أن رجل الذي"
والصواب أن الرجل الذي أو أن رجلا يهرب.

فهناك في هذا العصر رسائل إخوانية كثيرة وكان أغلبها في المناظرة الفقهية أمثلتها كثيرة في
كتاب "إنفاق الميسور" وكتاب الإسلام في نيجيريا لا يسعنا لضيق المقام عرضها هنا.

وأبرز شخصيات هذا العصر: الشيخ عثمان بن فودي وله مؤلفات تنيف عن
سبعين كتابا، والشيخ عبد الله بن فودي أعلم غرب أفريقيا في عصره، له أكثر من مئتي
كتاب في مختلف الفنون أشهرها، فيما أعلم، تزيين الورقات. والشيخ راجي بن صاحب
الرماد خلف خمسين كتابا. ومحمد بلو بن عثمان بن فودي صاحب إنفاق الميسور. والشيخ
أبوبكر الملقب ببوي الإلوري، والشيخ عبد الله رفوغو، والشيخ عثمان باسونو الدندى
وأبوبكر صاحب الكرسي في إبادن.

والجدير بالذكر في هذا الصدد هو أنه مع علو قدر النثر في هذا العصر لم يبلغ مبلغا
نسميه نثرا فنيا. ولعل السبب في ذلك عدم وصول مكتوبات العرب الفنية إلى هذه البلاد،
أمثال كتب عبد الحميد وابن المقفع وغيرهما، كما أشار إلى ذلك شيخو غلادنت،
واتصاف العصر بالاضطرابات السياسية ولم تمتد أكثر من قرن^(١٧).

النثر في العصر الإنكليزي:

وهو العصر الذي استولى على أرض نيجيريا البريطانيون للتبشير والاستعمار وتقع

بين ١٨٦١م إلى ١٩٦٠.

وقد وحاول المستعمرون استئصال اللغة العربية في نيجيريا من جذورها استئصالاً ولم يفلحوا، بل استطاعوا أن يجعلوها لغة ثانية بعد كونها لغة رسمية فحلوا محلها لغتهم الإنكليزية ووضعوها في بوتقة الدين خارجاً عن حجرة الثقافة بوصف عام، ولولا أن للبيت ربا يحميه لكانت اللغة مطوية في سجل النسيان. فمما زاد الطين بلة، أن العلماء التقليديين آمنوا أن باب الاجتهاد في الكتابة العربية مغلق فيقتدون بالقدماء، بل يعكفون على الاقتداء بعثمان بن فودي ورجاله في مکتوباتهم، وعدوا العلوم الغربية علوم الشيطان يجب على المسلمين اجتنابها، فهؤلاء صنف. وصنف آخر في هذا العصر هم المثقفون بالثقافة العربية والغربية ويوظفون في حقل الحكومة البريطانية ويشغل بعضهم في سياسة البلاد، هؤلاء باعوا عربيتهم بالإنكليزية فاکتفوا كذلك بتقليد القدماء على حساب تجديد عربيتهم مع روح النهضة الحديثة التي ظهرت في مصر إلى نيجيريا لأن المستعمرین يحجزون ذلك أو لعدم وجود آلة الطباعة العربية إلا واحدة في أبيكوتا، فالموجودة بكثير في اللغة الإنكليزية والمحلية، فاکتفوا بالكتابة بالمحلية أو ترجمة كتب العرب إلى المحلية مثل "ألف ليلة وليلة" وكتابة بعض القصص باللغة المحلية مقتبساً من مصادر عربية.

فإن دل ما سبق على شيء فإنما يدل على أن الأدب العربي بما فيه النشر لم يتطور على ما هو عليه في العصر السالف له في أول أمره، خصوصاً العقدين الأولين منها. ولكن في الثلاثينات من القرن في العصر وجد الأدب العربي سبيل عودته إلى أوج مجده، وذلك بإنشاء مدارس عربية أمثال المدرسة العربية ~~العصرية~~ أسسها محمد حمزة أحمد، ولأبيكوتا عام ١٩١٧م^(١١). ومدرسة العلوم العربية التي أنشأها أمراء الشمال في كتسنه أولاً ثم تحولت إلى كنو ١٩٣٤م وأنشئ بها قسم الدراسات العليا عام ١٩٥٤م فوافقت جامعات الأزهر والعراق والسودان والسعودية وليبيا أن يلتحق خريجو هذه المدرسة بكلياتهم لدراسة الشريعة واللغة العربية^(١٤). فأصبح إيجاد كتب أدب العصر الحديث أمراً يسيراً، وكذلك

هيات هذه المدارس فرصة إنشاء جمعيات اللغة العربية التي تعقد عدة ندوات عربية ومسابقات علمية تعطي حيوية ونشاطات لحركة اللغة العربية.

ومن أمثلة هذه المدارس، مركز التعليم العربي الإسلامي المؤسس في أبيكوتا أولا سنة ١٩٥٢م ثم انتقل به إلى أغيني عام ١٩٥٤م. وكلية المعلمين العربية بصوكتو عام ١٩٦٣ وغيرها. غيرت هذه المدارس المناهج الدراسية التقليدية المألوفة، وإضافة إلى ذلك، ظهرت في البلاد أول مرة مطبعة عربية على يد محمد جمعة بمبولا المذكور أعلاه عام ١٩٣٥م ونشرت المطبعة حوالي خمسين كتابا قبل أن تصاب بالتحريق تحت عواصف سياسية سنة ١٩٦٥م^(١٥).

ومن الكتب المطبوعة فيها شرح السوداني على مختصر الميداني لآدم عبد الله الإلوري. وقد تعاقب إنشاء المطابع العربية بعد ذلك وشجع ذلك علماءنا على تأليف كتب عربية، كما عمل وجرى الكتب التي ألهاها علماء بلادنا، التي نادى أن يدرس، أمرا سهلا. بقي النشر التعليمي والديواني في هذا العصر إلا أن الديواني لم ينل الوثائق الرسمية كالعصر السابق ثم ظهر النشر الفني وكانت مکتوبات العصر خالية من الركافة وبقي فيه الاقتباس والاستشهاد بالقرآن وبالكتب المالكية والصوفية. وهناك بعض علماء من اعتنوا بالزخارف اللفظية والمعنوية على غرار ما نرى في تقرير الشيخ آدم فمجي الكنوي على شرح مختصر الميداني المذكور آنفا، وتحرر بعضهم من قيود التقليد ولم يحتفلوا بالمزيّنات والزخارف اللفظية إلا ما جاء عفوا. نرى ذلك جليا في ما كتبه الشيخ آدم عبد الله الإلوري في مقدمة كتاب: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الطبعة الأولى ما نصه:

كان للتاريخ بين العلوم العقلية والنقلية مكانة لا تجهل، ومزية لا تنكر، وله أثره القوي في دفع عجلة التقدم إلى الأمام، لأن دراسة التاريخ لا تكون تسلية بذكرى الوقائع والأخبار فقط، ولكنها تكون تذكيرة

وتربية بأحوال الأمم الماضية، وبيئاتهم المختلفة في الأعصر السالفة،
لتحسين الشئون في الحياة الحاضرة على حد قول الشاعر:

ليس بإنسان ولا عاقل ** من لا يعي التاريخ في صدره

ومن وعى أخبار من قبله ** أضاف أعماراً إلى عمره

ومهما يكن من شيء، فإن تاريخ أمة في المبدأ لا يخلو أكثره من
الأساطير التي يتشدد بها البستان من عصرها من عصرها السابق
للتاريخ. فيتعداه إلى عصرها التاريخي والعصر التاريخي بالذات، قد
يسجل الأوهام والأكاذيب التي تنشأ من الجهل أو من الغفلة، أو يحمل
الافتراضات والتخمينات تنشأ من التعصب أو الغيرة. ولا يكاد ينجو
من هذه وتلك إلا الموفقون المنصفون وقليل ما هم^(١٦).

فهذا ما آل إليه الكتابة في أواخر العصر الإنكليزي حيث ظهرت الكتابة

ومن أشهر الكتاب في هذا العصر، إضافة إلى المذكورين أعلاه القاضي إبراهيم
شيخ علماء كنو ناظم "المثل السائر" ومحمد ثاني إمام جامع كنو ومحمد ناصر الكيري
المحصرمي^(١٧). وأحمد بن أبي بكر الفلاحي الإلوري ومحمد البيغوري الإلوري وأحمد بن أبي
بكر إكوكورو صاحب كتاب أخبار القرون من أمراء إلورن. ومحمد جمعة اللبيب الملقب
بـ تاج الأدب وهارون مطامي شيخ شيوخ بلاد يوربا وأحمد الرفاعي بن بلو، والشيخ
عبد السلام أوكيكوتو.

النثر في عصر الاستقلال (العصر الحديث)

بدأ هذا العصر بتحرر نيجيريا من أنياب المستعمرين في غرة أكتوبر عام ١٩٦٠ إلى
وقتنا هذا. فباستقلال نيجيريا هذا توافدت بلدان العرب بفتح سفاراتهم في ليغوس عاصمة
نيجيريا سابقاً كما قامت نيجيريا بدورها بفتح سفاراتها في هذه البلدان. ونتيجة لهذه
العلاقة الدبلوماسية تفتح باب اتصال أبناء نيجيريا طلاب العربية ببلاد العرب على مصراعيه

كما وجدنا من كتبوا قصة قصيرة أو شعبية أمثال إسحاق أوغني بكتابه القصص الشعبية عن السلحفاة عند اليوربا، وزكريا حسين صاحب خط الاستواء. وفي المسرحية نجد كتاب العميد المبجل لزكريا حسين أيضا. كما ساهم بعض كتاب العصر في ترجمة الروايات اليوربوية أو الإنكليزية أو الهوسوية إلى اللغة العربية، أمثال أحمد عبد السلام صاحب قصب المخيم، ومسعود راجي صاحب أعشاب ملتهبة، ومشهود محمود حمبا صاحب الصياد الجريء في غابة العفاريث ل دي. أو. فاغنو. وكما رأينا من كتب عن السياسية والحكومة، أمثال الشيخ آدم عبد الله الإلورى الذي كتب حقوق الإنسان وقوانين الزمن، وأحمد سعيد الرفاعي في كتابه: فلسفة الديمقراطية في نيجيريا والمفهوم الإسلامي منها^(١٩). وظهرت مؤلفة عن العلوم مثل البسيط في العلوم لإسحاق يوسف أجنيفيسن^(٢٠). كذلك صرف بعض المؤلفين عنايتهم إلى الكتابة في علم اللغات أمثال: أحمد عبد السلام الذي كتب في استخدام الرموز العربية لكتابة لغة يوربا المعروف "بالعجمي" في كتابه: هيا نكتب لغة يوربا بالرمز العربي. وإبراهيم محمود وحمة إشولا عبد الرحيم في كتابه: المدخل إلى فونولوجيا العربية لطلاب المعاهد والكليات بغرب أفريقيا^(٢١) وغير ذلك من المجالات الجديدة التي لم تشهدها العصور الأدبية السالفة.

وعلاوة على ذلك، صدرت في هذا العصر عدد من المجلات والجرائد العربية المحضة، بجانب المجلات الأكاديمية في الجامعات والكليات، أمثال "صوت الإسلام" مجلة تصدرها نقابة المراكزين ومجلة "الرسالة" أولى المجلات التجارية في نيجيريا تصدر في إلورن تحت إدارة مشهود محمود حمبا. و تطورت الخطابة تطورا ملموسا خصوصا الخطب المنبرية حيث تجدد موضوعاتها لتوافق قضية الساعة وترجم فوراً إلى لغات يفهمها السامعون وكذلك بعض الأمور الإدارية، والمدرسية، والاجتماعية، والسياسية، والإقتصادية، يستخدم النثر العربي لتحقيقها أمثال: الإعلانات، والدعوات، والشهادات والتزكيات، والاستمارات، والقوانين، والدساتير، ومحضار الاجتماع والتقارير،

والتوقعات، وغيرها مما يدل دلالة واضحة على أن النثر العربي قد بلغ أوج تطوره في
نيجيريا في هذا العصر الحديث في أنواعه، وفنونه، وأغراضه.

فضيق نطاق هذا البحث القصير يحول دوننا أن نأتي بنماذج كثيرة عن الكتابة الشريفة
في العصر، ولكن لكي لا نترك جله نكتفي برسالة أدبية كتبها مشهود محمود جمبا الأدبي
إلى الشيخ آدم عبد الله الألوري عند وفاته عام ١٩٩٢م في مجلة الرسالة نقتطف منها ما
يلي :-

ليس المهدف من كتابة هذه السطور حصر الإنجازات الخالدة التي حققتها يا
شيخ آدم. ليس الإعلان أنك كنت أعجميا أثمرت العرب فصاحته هو الغرض من هذه
المقالة. إن من الخطأ أن يعد تسجيل شجاعتك الأدبية هدف هذه المقالة. لا شك أنه من
سوء الفهم جعل الباعث على إنشاء هذه المقالة شهرتك شرقا وغربا. إني لا أَرْضَى أن يظن
القارئ أن الدافع إلى تسجيل هذه السطور -يا رحيل الإسلام - هو يأس المنبر بعدك. إن
العكس لصحيح لو قال أحد: إن سر تسجيل هذه الخطوط تخرج ألوف من العلماء
الجهابذة على يديك المباركتين... ولكن الغرض ... أن أسأل: متى يعود إلينا مثل آدم؟ ومتى
يثوب إلينا رجل قاهر الظروف وأثبت أن الإنسان أقوى من الظروف؟ رجل طارد من قرية
أغيبى شياطين الإنس والجن فحوّلها مدينة علمية معمورة يقصدها الداني والقاصي، رجل
أثبت للعالم أن الأعجمي يمكنه أن يقدم للغة القرآن قدر ما يقدمه العربي أو أكثر...؟
وأن أسألكم يا شباب اليوم: هل أنتم مقتفون أثر الإلوري، أم -لا سمح الله - مضيعون
جهود نصف قرن؟ لتكونوا من النوع الأول فتفوزوا، لا من الثاني فتحسروا. وداعا يا
علامة الدهر، وداعا يا قمة العصر، وداعا يا آدم الكتب والخطب، آدم الشجاعة والبسالة،
آدم العلم والمعرفة، آدم التصنيف، والتأليف، إلى اللقاء في آخر الأيام. إلى اللقاء إلى
الأبد. (٢٢)

فخلو هذه القطعة من الركافة والتعقيدات والغرابة والتنافرات والتكلف البديعي واتصافه بالسهولة والوضوح في الألفاظ والسلامة في المعاني مع تمتعه بالأساليب البلاغية الصحيحة في تصوير الأخيصة الرائعة المعبرة عن العاطفة الصادقة مع استعمال النكرات وتكرار الألفاظ والعبارات التي تعطي نغمة موسيقية مطربة تعين على تمام التأثير في نفوس القارئ، لدلالة واضحة على أن النثر العربي في نيجيريا قد التحق بركب النهضة الحديثة عند العرب وبالتالي يدل على أن للأدب العربي في هذه الديار مستقبلا باسما.

الخاتمة

فيما سبق نظرنا إلى نشأة النثر العربي في نيجيريا وتطوره فرأينا أنه بدأ من النثر العادي بمحاكاة العرب في مؤلفاتهم ومكتوباتهم ثم ارتقى إلى استخدامه لتدوين العلوم وتحوّدت حالها في العصر الفلاني ثم عاشره نوع من الضعف في العصر الإنكليزي. ثم عاد إلى أول مجده قبيل الاستقلال النيجيري حتى تطور إلى النثر الفني أو الكتابة الفنية بعد الاستقلال وكثرت فنونه وتنوعت أغراضه وموضوعاته وأساليبه مما ينبأ عن مستقبل زاهر للأدب العربي في نيجيريا.

ونحن ندعو الباحثين النيجيريين إلى الإقبال إلى دراسة أعمال علماء هذه المنطقة وأدباءها، التي لا يزال معظمها في خبايا الطمور بدلا من الطموح إلى دراسة أعمال من في خارجها حيث هناك أكفاء يقومون بذلك وهم يريدون معرفة ما لهذه الديار من كنوز إسلامية، وقد أذاقهم أسلافنا، أمثال الشيخ آدم عبد الله الإلوري والذكور عليّ أبو بكر وأحمد شيخو غلادنت حلاوة ما في هذه البلاد من تراث أدبية إسلامية قديمة، وقد حدث بعد مؤلفاتهم جلال أعمال جديدة تطلب التقديم والدراسة، فهل من مسهم؟.

هوامش

- ١- أحمد الاسكندري وغيره: المفصل في تاريخ الأدب العربي للدراسات الثانوية، الجزء الأول (غير مؤرخ) ص ٤٠
- ٢- زكريا حسين: المأدبة الأدبية: دار النور، أوتشي، نيجيريا. ٢٠٠٠ ص ١٧٤-١٨١
- ٣- آدم عبد الله الإلوري: مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية الطبعة الثانية، مركز التعليم العربي الإسلامي أغيني ١٩٩٢ م ص ٤٥
- ٤- المرجع نفسه ص ٤١
- ٥- المرجع نفسه ص ٤٤
- ٦- شيخو أحمد سعيد غلادنت: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا الطبعة الثانية، المكتبة الأفريقية ١٤١٤هـ - ١٩٩٢ م ص ٦٢
- ٧- آدم عبد الله الإلوري: المرجع السابق ص ١٨
- ٨- آدم عبد الله الإلوري: الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي، الطبعة الثانية دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٧١ م. ص ١٨
- ٩- غلادنت: المرجع السابق
- ١٠- المرجع نفسه
- ١١- الإلوري: الإسلام في نيجيريا السابق ... ص ٩٩
- ١٢- غلادنت: المرجع السابق
- ١٣- آدم عبد الله الإلوري: نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا، الطبعة الثانية المطبعة النموذجية، مصر ١٩٨٨ ص ١٩٥
- ١٤- عبد الباقي شعيب أغاكا (الدكتور): دور طلبة المدارس العربية في نشر الدعوة الإسلامية، مكتبة الندوة العالمية للشباب الإسلامي في نيجيريا. ١٩٩٦ م ص ٢١
- ١٥- الإلوري نسيم الصبا المرجع السابق ص ١٩٦.